فلسفة التربية والتطور التكنولوجي

Philosophy of education and technological development

بن سعدية سعاد

جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف. الجزائر

Souad_bensadia@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/08/04 **تاريخ القبول: 2022/11/28** **تاريخ النشر: 2022/12/31**

الملخص:

لقد أحدثت الثورة الرقمية تأثيرا كبيرا في مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أدى إلى خلخلة أشكال التواصل والروابط الاجتماعية بسبب بروز "إنسانية رقمية" جديدة فرضت إعادة النظر في مسألة التربية على القيم وأنماط التواصل والسعي الأفضل لفهم التأثيرات التكنولوجية على القيم.

تعمل فلسفة التربية إلى نشر التفاهم والعمل الأخلاقي وتحقيق احترام الذات للمجتمع والفرد لكي يواكب التطور التكنولوجي الذي يتقدم يوم بعد يوم، عن طريق نسف سياسة الانغلاق ودعم سياسية التفتح المتحضر، وتحقيق الحرية والديمقراطية. إلا أن تحقيق هذه الأهداف لا يتأتى إلا بضرورة أن تخرج فلسفة التربية من طابعها التأملي المجرد، لتلامس الواقع الذي أصبح يخضع لمتغيرات جديدة فرضتها الثورة العلمية والتكنولوجية، لتؤسس لأساليب تربوية ترافق الانسان المعاصر وتساعده على التأقلم مع هذا الواقع الجديد.

نسعى من خلال هذا المقال توضيح أي دور يمكن لفلسفة التربية أن تلعبه في خضم التطور التكنولوجي والمعلوماتي الذي يشهده العالم، فالتدفق السريع والمتزايد للمعلومات، يطرح تحدي جديد أمام فلسفة التربية لتطرح رؤى جديدة محايثة لما تشهده المجتمعات من خلخلة في نظمها وعلاقاتها وقيمها بسبب الثورة المعلوماتية والرقمية التي اكتسحت العالم. ما يجعلنا نطرح السؤال التالي: أي فلسفة للتربية تُطرح في ظل التطور التكنولوجي الراهن؟

الكلمات المفتاحية: الفلسفة؛ التربية؛ فلسفة التربية؛ التطور التكنولوجي. الثورة الرقمية والمعلوماتية.

Abstract:

The digital revolution has made a great impact in the fields of political, economic and social life, it has led to the disruption of forms of communication and social ties due to the emergence of a new "digital humanism" that has forced a reconsideration of the issue of education on values and communication patterns and the better pursuit of understanding the technological effects on values.

The philosophy of education works to spread understanding, moral action and achieve self-esteem for society and the individual in order to keep pace with the technological development that is progressing day by day, by torpedoing the policy of closure and supporting the policy of civilized openness, freedom and democracy. However, these goals can only be achieved if the philosophy of education must move beyond its abstract contemplative character, to touch the reality that has become subject to new variables imposed by the scientific and technological revolution, to establish educational methods that accompany modern man and help him adapt to this new reality.

Through this article, we seek to clarify what role the philosophy of education can play in the midst of the technological and information development witnessed by the world, as the rapid and increasing flow of information poses a new challenge to the philosophy of education to present new visions in line with the disruption of societies in their systems, relationships and values due to the information and digital revolution that swept the world. What makes us ask the following question: What role does the philosophy of education or any philosophy of education pose in light of the current technological development?

Keywords : philosophy, education, technological development, information and digital revolution.

مقدمة:

رافق التفكير الفلسفي الإنسان منذ القدم، فالفلسفة جعلت الإنسان يعي نفسه كفرد في ذاته وكفرد له علاقة بالوجود والخالق، وكعضو في المجتمع، يؤثر فيه ويتأثر به، فالفلاسفة لم يطرحوا آرائهم الفلسفية بمعزل عن الواقع فقد تأثروا به وأثروا فيه، فبحثوا في كل المواضيع التي شغلت الإنسان كالوجود والفكر والأخلاق والمعرفة، والجمال والقيم. ومن أهم المواضيع التي بحثت فيها الفلسفة هي التربية، فقد اهتم الفلاسفة منذ القدم بالتربية نظرا لأهميتها سواء بالنسبة للفرد أو بالنسبة للمجتمع، فظهر التفكير التربوي لدى الفلاسفة أو ما

يعرف بفلسفة التربية التي تحاول أن تؤقلم التربية مع الوضع الاجتماعي للإنسان ومتغيراته. طبعا ومن أهم المتغيرات التي يطرحها عصرنا الحالي، هو التطور التكنولوجي والمعلوماتي الهائل والمتسارع، والذي طرح ضرورة إعادة دراسة المجتمع مع ما يتوافق وهذا الطرح الجديد، بحيث يجب إخراج فلسفة التربية من اطارها النظري التقليدي، ودمجها في الفضاء التكنولوجي والمعلوماتي الجديد.

إن التدفق السريع والمتزايد للمعلومات، يطرح تحدي جديد أمام فلسفة التربية لتطرح رؤى جديدة محايثة لما تشهده المجتمعات من تطور وتغيير في نظمها وعلاقاتها وقيمها بسبب الثورة المعلوماتية والرقمية التي اكتسحت العالم.

يهدف هذا المقال إلى توضيح الدور الذي يمكن أن تؤديه فلسفة التربية اليوم في ظل التكنولوجيا الحديثة. بالإضافة إلى تسليط الضوء على التحديات التي فرضتها التطورات التكنولوجية على العملية التربوية، مع توضيح آفاق فلسفة التربية في ظل هذا التطور التكنولوجي الهائل.

سنحاول في هذا المقال معالجة الإشكالية المتمثلة في الدور الذي يمكن أن تلعبه فلسفة التربية في خضم التطور التكنولوجي والمعلوماتي الذي يشهده العالم. وتندرج تحت الأسئلة الفرعية التالية: ماهي فلسفة التربية؟ وماهي أهم الآراء الفلسفية التربوية؟ وأي فلسفة للتربية تُطرح في ظل التطور التكنولوجي الراهن؟

1. مفهوم التربية:

التربية بمفهومها العامي ليست غريبة علينا، إذ تعتبر الأسرة اللبنة الأولى لتربية الطفل، إذ يمكننا أن نقول عنها أنها مجموعة من المعارف والخبرات والسلوكات والعادات والأخلاق التي يزرعها الوالدين في أبنائهم. أما بمفهومها الاجرائي يمكن اعتبارها "عملية تعليم وتعلم لأنماط متوقعة من السلوك الاجتماعي ومادتها هي الأفراد الانسانيون دون غيرهم من الكائنات الحية الأخرى أو الجمادات."(الشريف، 2007، ص 30) أي أنها تسعى إلى صياغة الأفراد من أجل تنمية شخصياتهم وجعلهم يتكيفون مع الجماعة، اذن هي "نشاط اجتماعي شامل مهمتها إعداد الإنسان الصالح المتناسق جسميا وخلقيا وروحيا واجتماعيا. تكتسب التربية معانيها الحقيقية من خلال الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها لكونها وسيلة المجتمع لتأمين استمراره وتطوره."(اليماني، 2007، ص 15) فهي تطبيع مع الجماعة وتطبيع مع الثقافة.

التربية "ليست مجرد صنعة ضيقة المجال محدودة الأفق، هي بحكم الضرورة لا تستطيع إلا أن تكون عملية اجتماعية كما قدمنا وهي إذا تكون كذلك فإنها تستمد مادتها من ثقافة المجتمع وتتغيا بغاياته وطموحاته وتنطلق بالتالي من فلسفته واطاره الفكري العام."(سعيد، 1995، ص 18) فاكتمال العملية التربوية يقتضي الالمام بسياسة المجتمع واقتصاده وعقيدته، وآدابه وتياراته الفكرية، لأن "التربية بحكم طبيعتها إذ تتجه إلى اجراءات عملية وخطوات تنفيذية، فإن ذلك لا بد أن يستند إلى وجهة نظر، إلى فكرة، إلى فلسفة، إلى ايديولوجيا، إلى إطار فكري، أيا كانت التسمية فهي كلها تعبر عن

حالة ضرورة تكمن في خريطة فكرية، إن صح هذا التعبير بناءً عليها، يجول المربي في دنيا السلوك البشري."(سعيد، 1995، ص 19)

2. فلسفة التربية:

شهد مطلع القرن العشرين اهتماما واسعا لما يعرف بالدراسات المتعلقة بفلسفة التربية، وهذا الاهتمام يعود طبعا إلى التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي شهدها العالم، هذا التغيير في الخبرة الانسانية يسير جنبا إلى جنب مع التربية والفلسفة، فأي تغيير في المجتمعات لا يمكن أن يحدث دون أن تكون التربية وسيلة له.

يمكن القول أن فلسفة التربية هي الطريقة الفلسفية التي من خلالها نناقش المسائل التربوية، وتنقد مشكلاتها، وتحلل مفاهيمها الأساسية، طبعا ضمن الاطار الاجتماعي ومتغيراته فهي اذن "تعكس فلسفة المجتمع وطبيعة ثقافته وهي تختلف من دولة إلى أخرى، ومن أمة إلى أخرى لاختلاف طبيعتها وتراثها وامتدادها الحضاري، ومراحل تطورها وخضوعها لتطورات المجتمع بتقدمه أو تخلفه وانعكاس أوضاعه وظروفه وطبيعة نظامه وفلسفته السياسية والاقتصادية والاجتماعية."(اليماني، 2007، ص 11) فالنشاط التربوي هو نشاط أو اجراء عملي بالدرجة الأولى إلا أنه يرتد إلى وجهة نظر معينة أو إيديولوجية أو فلسفية، أو إطار فكري، يشكل قاعدة نظرية للسلوك البشري، وفيلسوف التربية "هو ذلك المهندس التصميمي الذي يرسم ويخطط بناءً على حاجة المجتمع، وما على المربي إلا الالتزام بهذا أو ذاك وهو ينفذ عن طريق العمل التربوي."(سعيد ،1995، ص 18)

إن الصلة بين الفلسفة والتربية والتعليم تجعل موضوع التعليم ومشاكله موضوعا قابلا للتجديد يحتم على المفكرين والكتاب والتربويين والفلاسفة التفكير الدائم فيما يمكن فعله من أجل مواجهة تلك المشاكل، فإذا كان هدف الفلسفة الوصول إلى المعرفة بغاية الحياة، فإن التربية هي وعي وسائل ذلك الهدف "تلك المحاولة للوعي بالمحركات الأساسية للعمل التربوي سواء من داخله هو أو من داخل البنية المجتمعية، كل ذلك في إطار من التحليل والنقد القائمين على استخدام الأدلة العقلية والبراهين المنطقية والالتزام الدائم بمحكية الخبرة التربوية في أرض الواقع."(سعيد، 1995، ص 22) فاذا اعتبرنا الفلسفة فكرة، يمكننا إذن القول بأن التربية هي تطبيق للفكرة على أرض الواقع.

هناك علاقة وطيدة بين الفلسفة والتربية حتى أن هناك من اعتبرهما وجهان لعملة واحدة فـ"إذا كانت الفلسفة وثيقة الصلة بحياة أي جماعة أو مجتمع إنساني، وأن أي مجتمع لا يخلو من فلسفة تمثل رؤيته لهذه الحياة، فإن الفلسفة تستمد وجودها وطبيعتها من نظرته لهذه الحياة، وإذا كانت التربية أسلوب لحياة المجتمع، وأداة تنشأ لاستمرار وتغيير الحياة المجتمعية بكل أبعادها، فإنها تشتق وجودها وأصولها من الفلسفة."(قوعيش، 2016، ص 346) فالتربية عندما تعالج المشاكل التي تواجه الإنسانية لابد أن تستند إلى مرجعية فلسفية تمكنها للوصول إلى ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع والإنسان بحيث تسمح بالاستفادة من خبرات الماضي لتحسين الحاضر واستشراف المستقبل، ففلسفة التربية تهدف إلى بقاء النوع البشري والرقي به.

تقوم فلسفة التربية بتحديد وسائل وأساليب وأدوات التربية، فهي بمثابة وعي يمكن التربية من الوصول إلى هدفها المتمثل في سعي الفرد إلى تغير بيئته وتغيير نفسه، واستيعاب الفرد لعلاقته ببيئته وبمظاهر الحياة الأخرى، كما أن فلسفة التربية تسعى لحل مشكلات التربية عن طريق المشاركة بالحوار والتطوير والنقد والبناء، وتنمية الاتجاه والذوق والقدرة على توجيه الأسئلة المتعلقة بالمجال التربوي، "فالأهداف التربوية مسألة أعمال فكر وقيادة بصيرة، بينما النتائج هي الواقع الملموس، حيث أن الزمن يمر والعملية التربوية تبدأ من المادة، الطريقة، التلميذ، والأهداف لابد من النظر إليها في ضوء الوسائل الضرورية لتحقيقها."(البخيخي، 2008. ص 107) وهذا كله يقع على عاتق فلسفة التربية.

3. نظريات تربوية:

بما أن التربية لا تنفصل عن الفلسفة أو عن إطار فلسفي تزدهر فيه وتنمو وتأخذ زادها من النظريات الفلسفية الكبرى، كان لا بد لنا أن نتطرق لأهم المحطات الفلسفية التربوية المشتقة من المدارس الفلسفية الكبرى، لنرى أثر هذه الفلسفات على التربية.

3. 1. التربية في الفلسفة اليونانية:

3. 1. 1. سقراط:

كانت فلسفة التربية عند سقراط تؤمن بالفرد الذي هو مصدر الحق والخير والفضيلة والجمال، وكان يرى أن التربية تهدف للوصول إلى الفضيلة، وتمكين الناس من معرفة مفاهيم كالعدل والصلاح وتطبيقها في الحياة اليومية.

يرى سقراط أن "موضوع الفلسفة هو البحث في الإنسان من جهة أخلاقه وتقاليده وأحواله الاجتماعية، ابتغاء خيره وسعادته بمعرفة طبيعته الحقة لا باتباع العرف السائد والعقائد البالية."(كرام، 2005، ص 11) فغاية الفلسفة عند سقراط هي صقل النفس الإنسانية وتزويدها بقيم الخير والحق والجمال وطبعا هذا يكون عن طريق التربية. فهدف التربية هو أن يتعرف الإنسان بنفسه لماهيته والأخلاق الفاضلة، معرفة تبدأ من النفس، لأن معرفة النفس هي أساس السلوك الصحيح، وأساس معرفة الحكمة والفضيلة، التي تحقق الخير والسعادة للناس.

3. 1. 2. أفلاطون:

الفلسفة المثالية هي تلك الفلسفة تؤمن بأن جوهر العالم هو العقل والأفكار. أما فلسفة التربية المثالية هي "جهد فكري منظم يتخذ من الفلسفة المثالية وسيلة لتنظيم العملية التربوية وتنسيقها وانسجامها وتوضيح القيم والأهداف التي ترمي إلى تحقيقها. وقد تعرف بكونها التطبيق الفعلي لأفكار المثالية في ميدان الخبرة الإنسانية التي نسميها التربية."(كرام، 2005، ص 12) وهي عملية تدريب أخلاقية يتم فيها نقل الأخلاق والعادات الطيبة إلى الأجيال القادمة. وتمكين الفرد من مواجهة المشكلات وتنمية وعي الأفراد لإدراك الذات العاقلة.

الحديث عن المثالية يقودنا بطريقة أو بأخرى للحديث عن أفلاطون الذي كانت له رؤية في كتاب الجمهورية حول موضوع التربية، إذ يؤكد ضرورة التفاعل بين الجسم والعقل في التربية، ويرى أن التربية هي عملية توجيه الأطفال ألى طاعة القوانين، وأن المعرفة الحقيقية لا تؤتى إلا عن طريق العقل،

وهذه المعرفة متاحة فقط للحكماء والفلاسفة، أما باقي الطبقات من عمال ومزارعين وجنود يجب أن يدربوا على بعض الفنون التي تتوافق مع قدراتهم الجسمية والعقلية. فأفلاطون يرى أن التربية هي "الكفيلة بالوصول إلى مجتمع عادل يلتزم فيه كل فرد بطبقته التي يعيش فيها."(كرام، 2005، ص 23)

3. 1. 3. أرسطو:

الفلسفة الواقعية جاءت كرد فعل على الفلسفة المثالية وهي ترى أن الحواس أداة للوصول إلى المعرفة، والواقع المادي المحسوس هو أصل المعرفة. أهم ممثلي الاتجاه الواقعي في التربية نجد أرسطو الذي يرى أن التربية تهدف إلى تنمية العقل منطقيا، والعناية بصحة الجسم.

تتميز التربية الواقعية بـ"اهتمامهم الإعداد للحياة العلمية والمسؤوليات الاجتماعية والاتجاه نحو إدراك الحقيقة الواقعية، والاهتمام بدراسة الطبيعة وعالم الأشياء وإعلاء شأن العلوم الطبيعية والعلوم غير الإنسانية، وكذلك إعلاء شأن الطريقة العلمية والتوسع في استعمالها في مجال أوسع من مجال العلوم الطبيعية."(البدري، 2009، ص 224)

3. 2. التربية في الفلسفة الحديثة:

اتخذت التربية في العصر الحديث منعرجا جديدا يتوافق والتغيرات التي حدثت في تلك الفترة، وأهم ما يميز تلك الفترة هو الثورة العلمية، الذي أثر وأعاد توجيه العملية التربوية باعتبار أن الفكر التربوي مرآة المجتمع، فكان هدف التربية الأساسي هو تكوين الفكر وتدريبه على الملاحظة، والبحث والتفكير.

3. 2. 1. جون جاك روسو:

من بين المرجعيات البارزة في فلسفة التربية، نجد الاتجاه الطبيعي الذي حدد معالمه الفيلسوف جون جاك روسو، وبالخصوص من خلال كتابه المشهور "إميل أو في التربية". يرى روسو أن الإنسان خير بطبعه يخلق خاليا من الشرور والآثام، لكن الحياة الاجتماعية تغير هذه الطبيعة وتطبعها بطابعها. إن هدف التربية الطبيعية يتمثل في بناء الإنسان على صورة الطبيعة، أي كما خلقته الطبيعة.

يعتبر روسو فيلسوف الحرية حيث كانت أولوية فلسفية لديه، فجعلها وسيلة للتربية وغاية للإنسان، حتى أنه طابق بين الحرية في السياسة والتربية واعتبرها "تكريس لسيادة العقل على الغريزة، والأهواء، والسلطة الخارجية، وهي مفصلة في حدود القدرة والرغبة فالإرادة هي صوت العقول، والقوانين هي من صنع العقل البشري، والحرية تكون في طاعة القانون، لأنها لا تظلم وفي التربية يمثل المربي صوت العقل."(البدري، 2009، ص 88) إذن طاعة المربي هي طاعة للقوانين والعقل، هذه الطاعة هي التي تجعل من المواطن صالحا.

مراحل التربية عند روسو تخضع للطبيعة، وقد قسمها إلى:

- **مرحلة التربية السلبية:** من الميلاد إلى سن 12، و تلعب فيها الطبيعة دورا كبيرا بحيث يتعود الطفل على تنمية حواسه، ويتعلم من الطبيعة أكثر من المدرسة.
- **مرحلة التربية الإيجابية:** ما بعد سن 12، يتدخل المربي بطريقة مباشرة لينمي عند الطفل الأخلاق والدين الطبيعي، بحيث يتوصل إلى التأمل في نفسه، وفي ما حوله إلى غير ذلك من المبادئ التي تقوم عليها عقيدته الدينية المتحررة، وتحضيره للقيام بواجباته العائلية.

3. 2. 2. جون ديوي:

تعتبر البراغماتية فلسفة علمية انبثقت من الروح المادية للقرن العشرين، وهي أمريكية النشأة رأسمالية الاتجاه، وقد نشأت كمذهب عملي نفعي في أمريكا مع بداية القرن العشرين، وساعد على نشأتها انتشار استخدام الطريقة العلمية وما ترتب عليها من نفع عملي وتقدم صناعي. ويعتبر جون ديوي من أهم فلاسفة هذا المذهب، فقد عُرف بغزارة نشاطه وانتاجه الفلسفي، فكان له الفضل في استمرارية هذه الفلسفة إلى الآن، توجهه البراغماتي انعكس على التربية عنده، فقد أكد على اتجاهات جديدة في التربية شكلت نسقاً متكاملاً، أو ما يمكن تسميته بـ "نظرية الفلسفة التربوية" التي عرفت باسم "الفلسفة البراغماتية التربوية"، اذ تبدو معالم الترابط بين الفلسفة والتربية عنده "من خلال دعوته إلى تقريب الفلسفة من الواقع حتى تُعين الفرد على فهم مشاكله الاجتماعية وتساعده على تجاوزها "وتغدو من فورها هذا صوغا صريحا لمصالح الحياة المختلفة، وشرحا لوجوه النظر والأساليب التي تكفل إيجاد التوازن بين هذه المصالح."(ديوي، 1946، ص 336)

لقد رغب ديوي في صناعة مجتمع معاصر يواكب التطورات التي أحدثتها الثورة الصناعية والكشوفات العلمية الجديدة وكذا اختبار أفكاره الفلسفية. من جهة أخرى، يعتبر ديوي التربية ظاهرة طبيعية عند الإنسان، تتم بطريقة لاشعورية منذ الولادة، وهي عملية مستمرة ومتطورة، لا تهدف إلى إعداد الفرد لحياته المستقبلية، وإنما هي عملية من عمليات الحياة الحاضرة، وتمكن الفرد في المدرسة من الحصول على الخبرة بنفس الطريقة التي يحصل عليها الطفل في البيت أو البيئة التي يعيش فيها، فقد جعل جون ديوي المدرسة مجتمعا مصغرا

يعكس كل المظاهر الاجتماعية والأخلاقية والسياسية يتفاعل أفراده مع ظروفها والتي لا تختلف عما يوجد خارجها، أي مجتمعا مصغرا متفاعلا مع ضروب الخبرة الاجتماعية خارج جدران المدرسة.(ديوي، 1946، ص 153) بهدف إكساب الفرد عادات ومهارات واتجاهات تناسب المجتمع الذي يعيش فيه من ناحية، والعمل على رفاهيته من ناحية أخرى، ومساعدته على الاستمرار في التعلم والنمو، وتربية ذاته، وتكيفه مع بيئته من ناحية ثالثة، وقد جعلها نفسية واجتماعية في الوقت نفسه، تنطلق من فهم نفسية الطفل وتوجيهه ليصبح صالحا في مجتمعه.

قدم "ديوي" نمط تربوي جديد اعتبر ثورة على النمط التربوي التقليدي حيث أصبح التوجه التربوي الجديد يقوم على جعل المتعلم أساس كل العملية التعليمية، ودعا إلى الاعتماد على نشاط الطفل في التربية بالتركيز على ما يحمله من ميولات وقدرات والسماح له بممارسة حريته قصد النمو في سبيل تعزيز الذكاء والفعالية لمجابهة الحياة المتغيرة، فهذا التوجه الجديد يقوم على البيداغوجية النفعية المعبرة على مذهبه البراغماتي، ونظر أيضا للحياة في ميادينها الأخلاقية والاجتماعية الخاتمة والسياسية لأنها هي الميادين التي تعيشها ذات المتعلم، في محاولة لجعل التربية نفسية ترتكز على ميولات المتعلمين واجتماعية تنظر إلى المدرسة باعتبارها حياة اجتماعية، أو "المجتمع ذاته" أو "المختبر العملي". كما أبرز لنا الهدف النفعي من وراء ذلك هو أن تتماشى أساليب التعليم والواقع المتغير من خلال ربط الأنشطة مباشرة باهتمامات المتعلمين وقدراتهم، وتتشكل بذلك الخبرة، "فمن الطرق التي يوصي (ديوي) المدارس باتباعها في تنظيم خبرات التلاميذ وفي التدريس طريقة حل

المشاكل وهي تقوم على المبدأ القائل: أن التعلم الجيد يقوم على وجود مشكلة تهم التلميذ وتتصل بحياته وحاجاته: فتحفزه إلى القيام بنشاط، بغية الوصول إلى حل لهذه المشكلة وهذا لا يمكن أن يكون إلا بمناهج خاصة تتلاءم مع هدف التربية الأساسي، فـ"لابد أن يتعاون في وضع المنهج كل من له اهتمام بالمناهج الدراسية، والمنهج المقترح يجب أن يكون مرناً وهادفاً وقابلاً للتغيير ،يسعى إلى إعطاء الطلاب أكبر عدد ممكن من البدائل لحل المشكلات التي قد تعترض طريقهم في الحياة.

يرفض ديوي الطرق التقليدية في التدريس التي تعتمد على أسلوب المحاضرة التي لا تتيح للمتعلم الفرصة لاكتشاف الواقع وتجعله، الطالب مجرد آلة يستقبل المعلومات، ويحفظها دون أن يكون له أي نشاط أو فاعلية، فهو يحاول أن يعطي المتعلم حرية أكبر بحيث تصبح هناك ديمقراطية تربوية تعلي من قيمة الفرد وتقوم على أساس مشاركة أعضاء الأسرة والجماعات في إدارة شؤونها ديمقراطياً.

4. فلسفة التربية في ظل التحولات التكنولوجية:

التكنولوجيا كمفهوم ظهرت نتيجة التطور الصناعي والتقني الذي حصل في القرن الماضي، وقد ارتبطت بجميع نواحي الحياة، من بينها التربية، فأنتجت ما يعرف بتكنولوجيا التربية والتي تعني "طريقة منهجية في التفكير والممارسة تجعل العملية التربوية نظاما متكاملا يتم من خلاله تحديد المشكلات التي تتصل بجميع جوانب التعلم الانساني وتحليها وايجاد الحلول الملائمة لتحقيق أهداف تربوية محددة."(الأحمد وأخرون، 2017) فقد أصبحت وسائل الاتصال والتكنولوجيا جزءا من العالم، فلا بد من استيعاب الواقع الجديد الذي

فرضته التكنولوجيا وإضافة أسس جديدة للعملية التربوية. مما يطرح سؤال حول فلسفة حياة جديدة تلائم الحياة الجديدة للمجتمعات، وتطرح تصور أخلاقي جديد يُصيغ العلاقات في العصر الرقم، أو ما يعرف بالأخلاقيات الرقمية."(الأحمد وآخرون، 2017، ص 257) وهي تلك المعايير الأخلاقية التي تهتم بشكل عام في العلاقة والتفاعل ما بين البشر والتكنولوجيا الرقمية في الوقت المعاصر، وتهدف إلى فحص هذه العلاقة التواصلية والتفاعلية أخلاقياً، والتواصل، إذ تحاول التكنولوجيا اليوم خلق عالم يتسم بالانفتاح والتحرر وإتاحة الحرية للحوار والنقاش وتداول الأفكار.

إن هذه الثورة الرقمية تحدث تأثيرا في الشؤون الاقتصادية والمؤسساتية عموما، إلا أنها تؤدي إلى خلخلة أشكال التواصل والروابط الاجتماعية بسبب بروز "إنسانية رقمية" مما يستدعي إعادة النظر في مسألة التربية على القيم وأنماط التواصل والسعي الأفضل لفهم التأثيرات التكنولوجية على القيم. إننا بسلوكياتنا أزحنا التكنولوجيات عما يجب أن تكون عليه من بناء وإدماج وقدرة على حل المشاكل، فهي تتيح إمكانية -التكنولوجيات- تجاوز عدة صعوبات، والانتقال بالبلدان من موقع المستهلك إلى موقع المنتج والمبادر. لأننا نعيش خلطا بين ما هو كوني: التكنولوجيات وإنتاج الثروات، وولوج المعرفة، وما هو خصوصي: متعلق بالوطن وبخصوصيته الثقافية والدينية، لذلك برزت ضرورة التجديد في فلسفة التربية لتتماشي مع "ما أصاب الحياة الاجتماعية من تغيرات كبيرة مصاحبة لتقدم العلوم والثورة الصناعية، وارتقاء الديمقراطية وحقوق الإنسان، ومثل هذه التغيرات لا يمكن أن تحدث دون أن تتطلب إصلاحا تربويا يرافقها، ودون أن تدفع إلى التساؤل عن الأفكار والمثل التي تشير

إليها هذه التغيرات وعما تتطلبه دون مراجعة نقدية."(قوعيش، 2016، ص 347) أي أن الإنسان يناقش القيم القديمة ويغربلها ليعرف ما يصلح منها لحياته الجديدة، ويعرف القيم التي يجب تركها في الماضي لأنها لا تخدمه في حاضره، ويحاول التأسيس لقيم جديدة تتناسب مع مستقبله، ففلسفة التربية هنا وجدت نفسها أمام مهمة جديدة هي سد الفجوة التي أحدثتها الثورة التكنولوجية والصناعة الدقيقة من أجل تجهيز الفرد لهذا النمط الجديد للعيش وتقديم حلول للمشكلات التي تواجهه في حياته اليومية.

انعكس انتشار العلم على نواحي الحياة المختلفة، فقديما كان العلم نوعا من أنواع الترف تقدمه الدولة للقادرين عليه، لكن اليوم أصبحت الدول تعطي عناية خاصة للتربية والتعليم، وجعلته ضمن أولى أولوياتها، فأتاحت التعليم للجميع وحرصت عليه، لإدراكها أن نهضتها وتطورها تكون على يد أبنائها المتعلمين، الذين ينفعون الدولة من جميع النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. لذلك كان لابد من فلسفة تربوية جديدة لا تخرج عن الاطار العام لمعطيات العالم الجديد، تقوم على فهم جديد للطبيعة الإنسانية يتناسب مع القيم الجديدة، ومع الثورة التكنولوجية التي اجتاحت العالم، لأن القوة أصبحت في يد من يمتلك العلم والتكنولوجيا، طبعا مع القدرة على التحكم فيها وليس امتلاكها فقط، وبالتالي خلق فضاءات أخرى للهيمنة وخلق تراتبية اجتماعية جديدة تقوم على التحكم التكنولوجي "فأولئك الذين أسسوا لهيمنتهم على امتلاكهم وتحكمهم في الوسائط التكنولوجية القديمة (الكتاب الصحافة، ... الخ) يشهدون تراجع في مواقعهم الاجتماعية لصالح فئات أخرى تشرعن لهيمنها بالتكنولوجيا الرقمية الشبكية المعاصرة."(الصادق، 2014، ص

24) أي خلق لا مساواة بين من يعرفون ولا يعرفون في التكنولوجيا، هنا ظهر تحدي جديد للتربية والتعليم وهو كيفية جعل الجيل الجديد يتأقلم ويتحكم في التكنولوجيا والمعلوماتية لمواكبة العصر من أجل "صناعة الفرد الفعال والواعي المؤثر في مجتمعه وتسعى إلى رفع مستوى عملية التعليم التي يتلقاها الفرد في المؤسسات التعليمية وتحسينها."(الظفري، 2002، ص 3)

إن التدفق السريع والمتزايد للمعلومات ينعكس سلبا على بنية القيم في المجتمع، ويستدعي ضرورة الاهتمام أكثر بفلسفة التربية، التي تدعو إلى "اصلاح النظام التربوي بجميع مدخلاته وعملياته ومخرجاته، خصوصا في ضوء عجز النظام الحالي عن مواجهة التحديات التي افرزتها تقنية المعلومات والاتصالات وتحول العالم من مجتمع صناعي إلى مجتمع معلوماتي."(الظفري، 2022، ص6) فالعملية التربوية ليست مجرد تلقين معلومات، وإنما هي تنمية بشرية لابد من أن تنطلق من قاعدة متماسكة من القيم السوية، فالمربي أو المعلم يعد التلميذ للانخراط في المجتمع، يجب أن يكون لديه وعي بفلسفة وثقافة وبنية القيم فيه، "فالمدرسة والعائلة يمكن أن يمارسا دورا فاعلا فيما يمكن أن يطلق عليه التنشئة التكنولوجية، فهما قاعدتان محوريتان في خلق تفاعلات مثمرة بين الأجيال من أجل تمثل ايجابي للتكنولوجيات."(الصادق، 2014، ص 56) فبما أن الحياة اليوم أصبحت تعتمد الأسلوب العلمي، أصبحت فلسفة التربية أيضا تلتمس العلمية إذ "تتخذ من الأسلوب العلمي ومن التجربة العلمية وسيلتها لبحث المشكلات التربوية، وبذلك يرتبط العملي الميداني بالنظريات في كل متكامل، أساسه الخبرة التربوية السليمة والتفلسف التربوي التجريبي."(قوعيش، 2016، ص 366) فتقوم الفلسفة التربوية على فروض

تمكن من الوصول إلى حل للمشكلات التربوية، وتصبح مجالا لتطبيق الفلسفات الانسانية عامة في حل تلك المشكلات.

أفرزت الثورة المعلوماتية قضايا أخلاقية وثقافية ومجتمعية وقيم جديدة مرتبطة بالتكنولوجيا، هذا الارتباط بقدر ما يبدو أنه يحقق التطور والتقدم للمجتمعات وأنه يعود بالمنفعة على الافراد بقدر ما يحمل خطورة تدمير المجتمعات، فالآثار الاقتصادية والاجتماعية والتربوية لتكنولوجيا المعلومات يمكن أن يكون أثر ايجابي، كما أنه يمكن أن يكون له أثر سلبي، لذلك تسعى فلسفة التربية لإيجاد الحل الذي يجعلنا نستفيد من التطور المعلوماتي والتكنولوجي وفي نفس الوقت تجنب تدمير المجتمع وتجنب الأثر السلبي للتكنولوجيا أو خلق ما يسمى بالوعي التكنولوجي الذي يجعل الفرد متحكما في التكنولوجيا بدلا من أن تتحكم فيه هي.

يسير التقدم في المجال التكنولوجي والمجال الاجتماعي، بوتيرة غير متوازية، فدائما ما يسبق التقدم التكنولوجي التقدم الاجتماعي مما يخلق هوة ثقافية أو سوء تكيف بينهما هنا يبرز دور التربية في خدمة المجتمع انطلاقا من المدرسة "فالمدرسة هي صورة لحياة المجتمع ترتكز فيها كل تلك الوسائط التي تهيء للطفل المشاركة في ميراث الجنس، ولاستخدام قواه الخاصة في تحقيق الأهداف الاجتماعية."(سعيد، 1995، ص 104) فالمدرسة صورة عن الحياة الاجتماعية، إذ يرى جون ديوي أن "الفلسفة هي النظرية العامة للتربية، وأن التربية هي المعمل الذي تُختبر فيه الأفكار الفلسفية."(سعيد، 1995، ص 17) فلكي تخرج الفلسفة من اطارها التأملي المجرد عليها، أن تستمر في التربية تجريبا واختبارا.

تقوم التربية والتعليم بموجب التقدم العلمي والتكنولوجي ببناء المناهج التعليمية ومخططات التكوين والنظم التربوية والمنظومة التربوية بشكل عام على معايير علمية بحتة، وذلك باستثمار النظريات والقوانين التي أنجبتها البحوث والدراسات العلمية في علم النفس وعلم الاجتماع وعلوم التربية، لظاهرتي التعلم والتعليم. فتسعى إلى تمكين المعلم والمتعلم من استخدام التكنولوجيا المتطورة نظريا وعمليا، في عمليتي التعليم والتعلم، وعلى رأسها تقنيات الإعلام الآلي، وشبكة الإنترنيت للحصول على كفاءات تضمن متطلبات وحاجات الفرد والمجتمع المادية والفكرية.

خاتمة:

في الأخير يمكننا القول أن فلسفة التربية تسعى إلى نشر التفاهم والعمل الأخلاقي وتحقيق احترام الذات للمجتمع والفرد لكي يواكب التطور التكنولوجي الذي يتقدم يوم بعد يوم، عن طريق نسف سياسة الانغلاق ودعم سياسية التفتح المتحضر، وتحقيق الحرية والديمقراطية.

تشجع الاعتماد على التفكير النقدي البناء في تحليل الأمور من أجل خلق حالة من التوازن بين واجبات وحقوق كل من الفرد والمجتمع ليعود في النهاية بالنفع على المصلحة العامة وإحياء المشاعر الإيجابية التي تخدم المجتمع.

تجعل فلسفة التربية الفرد والمجتمع في تطور مستمر قادر على مواجهة الأزمات والتعامل باحترافية مع أفراده من أجل خلق أفراد صالحين وتصيغ علاقاته بالمجتمعات الأخرى.

يجب على فلسفة التربية أن تخرج من طابعها التأملي المجرد، لتلامس الواقع الذي أصبح يخضع لمتغيرات جديدة فرضتها الثورة العلمية

والتكنولوجية، لتؤسس لأساليب تربوية ترافق الانسان المعاصر وتساعده على التأقلم مع هذا الواقع، وتجهزه ليصبح عضوا فاعلا داخل المؤسسة الرقمية بدل أن يصبح خاضع ويحافظ على ذاته وكينونته، في ظل تداخل الذوات والعوالم الرقمية.

قائمة المراجع:

- الأحمد، أحمد عبد الله. و عمر، ماجدة أحمد. و هديب، أمجد أحمد. 2017. الأخلاقيات الرقمية والحداثة في التواصل الانساني. المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية. 2017. المجلد 10. العدد2. ص ص: 251 - 263. **ردمد:** 2707-6407.
- البخيخي، محمد لبيب. 2008. الفكر التربوي. ط 2. بيروت: دار النهضة العربية.
- البدري، فوزية الحاج علي. 2009. التربية بين الأصالة والمعاصرة. مفاهيمها أهدافها فلسفتها. ط 1. عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- الشريف، السيد عبد القادر. 2007. التربية الاجتماعية والدينية في رياض الأطفال. عمان: دار المسيرة.
- الصادق. رابح. 2014. فضاءات رقمية قراءات في المفاهيم والمقاربات والرهانات، لبنان: دار النهضة العربية.
- الظفري، عبد الجبار حسين. 2022. التربية التكنولوجية. الأردن: كلية التربية. جامعة اب.
- اليماني، عبد الكريم علي. 2007. فلسفة القيم التربوية. عمان: دار الشروق.
- ديوي، جون. 1946. الديمقراطية والتربية. تر: متى عفراوي وزكرياء ميخائيل. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- سعيد، اسماعيل علي. 1995. فلسفات تربوية. عالم المعرفة. العدد: 198. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- قوعيش، جمال الدين. 2016. فلسفة التربية راهنا، قراءات في الأسس والمبادئ. مجلة نقد وتنوير. 2016. العدد 05. ص ص: 344- 370. ردمد: 2414-3839.
- كرام، عبد الحكيم. 2004/ 2005. محاضرات في فلسفة التربية. جامعة قسنطينة. الجزائر.